

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ وَالْعَافِيَةُ فِي الْأَبْدَانِ، مَعَ تَوْفُرِ لُقْمَةِ الْعَيْشِ الْهَنِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَهُمُّ أَيَّ إِنْسَانٍ، وَلِتَحْقِيقِهِ تَتَطَلَّعُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَتَتَسَابِقُ الْبُلْدَانُ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». فَفِي ظِلِّ الْأَمْنِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، تُحْفَظُ النُّفُوسُ وَتُصَانُ الْأَعْرَاضُ، وَيُؤْمَنُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَتَأْمَنُ السُّبُلُ، وَيُرْفَعُ الْأَذَانُ، وَتُقَامُ الصَّلَوَاتُ فِي جَمَاعَةٍ، وَتُشْهَدُ الْجُمُعُ، وَتُعْمَرُ الْمَسَاجِدُ بِالطَّاعَةِ وَالذِّكْرِ، وَيَعْلَمُ الْعِلْمُ وَتَقُومُ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَيُرْفَعُ عِلْمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَيَفْشُو الْمَعْرُوفُ، وَيَقِلُّ الْمُنْكَرُ، وَيَحْصُلُ الْإِسْتِقْرَارُ النَّفْسِي وَالْإِطْمِئْنَانُ الْاجْتِمَاعِي، وَيَتَحَابُّ النَّاسُ فِي اللَّهِ وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتَنْمُو الثَّرَوَاتُ، وَتَكْثُرُ الْخَيْرَاتُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّهُ لَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ، وَأَكْبَرِ الضَّلَالَاتِ مَا يَحْصُلُ فِي بِلَدِنَا وَبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ عَلَى أَيْدِي فِتْنَةٍ ضَالَّةٍ مَارِقَةٍ، خَرَجَتْ عَنِ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَتِ الْجَمَاعَةَ، فَأَقْدَمَتْ عَلَى أَقْبَحِ الْإِجْرَامِ وَاقْتَحَمَتْ كِبَائِرَ الْآثَامِ، وَصَارَ أَهْوَنَ مَا لَدَيْهِمْ أَنْ يُزْهِقُوا الْأَنْفُسَ الْمَعْصُومَةَ، أَوْ يُتْلِفُوا أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ الْمُحْتَرَمَةَ، أَوْ يَعْتَدُوا عَلَى مُقَدَّرَاتِ الْبَلَدِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، أَوْ يَتَمَرَّدُوا عَلَى رِجَالِ الْأَمْنِ وَيَتَقَصَّدُوهُمْ، أَوْ يُرَوِّعُوا الْأَمِينِينَ وَيَحْمِلُوا السَّلَاحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، يَأْتُونَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَتْهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمَّدًا

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٠٠﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي وَصْفِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَسَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ». هَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، الَّتِي تُبَيِّنُ عِظَمَ أَمْرِ النُّفُوسِ الْمَعْصُومَةِ، وَقَدَّرَ الْأَمْوَالَ الْمُحْتَرَمَةَ، وَفَدَاحَةَ الْقَتْلِ وَالتَّخْرِيْبِ وَالتَّرْوِيعِ، وَتَدُلُّ بِمَجْمُوعِهَا عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الْأَمْنِ، وَوُجُوبِ مَا يَضْمَنُ حِفْظَهُ وَحِمَايَةَ سِيَاجِهِ، لَكِنَّ مَنْ شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَبَلَى بِتَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ بُرْهَانٍ، لَا يَهْمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْمُوبِقَاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَنْ طُمِسَتْ بَصِيرَتُهُ وَعَمِيَ قَلْبُهُ، فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، وَيَرَاهُ حَسَنًا وَلَوْ كَانَ غَايَةً فِي الْقُبْحِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، وَقَالَ ﷺ: ﴿أَفَمَنْ زَيَّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِرُؤُوسِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، عَقِيدَةٌ يَرْتَضِيهَا الْمُسْلِمُ وَيَرْتَدِيهَا،

امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ مَجَالًا لِلْمَسَاوِمَاتِ، أَوْ عُرْضَةً لِلتَّدْبُذِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، أَوْ التَّبَدُّلِ مِنْ زَمَنِ إِلَى آخَرَ، تَبَعًا لِمَا يُعْطَاهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا أَوْ يُمْنَعُهُ مِنْ شَهَوَاتِهَا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». إِنَّ النَّصْحَ وَالْإِصْلَاحَ لَا يَكُونُ بِالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَغْيِيرُ الْمُنْكَرِ لَا يَكُونُ بِإِيْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَفْكِ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْوَلَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْبِرَاءُ مِنَ الْكَافِرِينَ لَا يَكُونُ بِالتَّجَاوُزِ فِي تَكْفِيرِ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ الْإِعْتِدَاءُ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى مُعَاهِدٍ، أَوْ بِنَقْضِ عَهْدٍ وَخِيَانَةِ مِيثَاقٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ رِجَالَ الْجَيْشِ وَالشُّرْطَةَ فِي بِلَدِنَا يَحْفَظُونَ الْأَمْنَ وَيُرْعَوْنَهُ، وَيَسْهَرُونَ لِلذَّبِّ عَنِ الْحُرْمَاتِ وَالذُّودِ عَنِ الْمُقَدَّسَاتِ، وَيَحْرُسُونَ الدِّيَارَ وَيَحْمُونَ الدِّمَارَ، وَيَمْنَعُونَ التَّعَدِّيَّ، إِنَّهُمْ وَهَذِهِ أَعْمَالُهُمْ لَعَلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ، وَإِنَّ قَصْدَهُمْ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ وَإِزْهَاقِ أَرْوَاحِهِمْ، لَهُوَ مِنَ الْإِفْسَادِ، بَلْ هُوَ تَنْفِيدٌ لِمُخَطَّطَاتٍ تَرَسَّمُهَا أَيْدِي الْكُفْرِ، وَتَحِيكُهَا أَصَابِعُ الْغَدْرِ، وَتَدَعِمُهَا دُورُ الْإِلْحَادِ وَتَنْظِيمَاتُ الْإِفْسَادِ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا الْأَعْدَاءُ الْحَاقِدُونَ وَالْمُنَافِقُونَ الْمُتَرَبِّصُونَ، وَأَمَّا الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ، فَلَا يَتَوَقَّعُ أَنْ يَنَالُوا عِزًّا وَلَا يُحْرَزُوا نَصْرًا مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ، وَتَعُودُ فِيهِ رِمَاحُهُمْ إِلَى صُدُورِ إِخْوَانِهِمْ، أَوْ يَطْعَنُ بِهِ بَعْضُهُمْ فِي ظَهْرِ بَعْضٍ.

أَلَا فَلَنَتَّقِ اللَّهَ، وَلَنَنْتَبِهْ لِمُخَطَّطَاتِ الْأَعْدَاءِ، وَلَنَحْرِضْ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ جَمْعٌ لِلْكَلِمَةِ وَتَقْرِيبٌ لِلْأَرَاءِ وَحِفْظٌ لِلْجَمَاعَةِ وَحِمَايَةٌ لِلْأَمَنِ، وَأَهْمٌ ذَلِكُمْ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ مَا يُحْفَظُ بِهِ

الْأَمْنُ وَيَحْصُلُ بِهِ الْإِطْمِئْنَانُ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: لَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ انْحِرَافِ الشَّبَابِ عَنِ الْوَسْطِيَّةِ وَالْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ تَلَكُّمُ الْكِتَابَاتِ وَالْفَتَاوَى الْمُضَلَّلَةِ، فَهَذَا أَحَدُهُمْ يَتَحَسَّرُ، وَيَتَأَسَّفُ عَلَى مَنْ اعْتَبَرَ حُكَّامَنَا وَوَلَاةَ أَمْرِ شَرْعِيِّينَ، فَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ «فَقَهُ الْخِلَافِ»: وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَبُولَ بِتَصَدُّرِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَرِيَّاسَتِهِمْ لِلْمُجْتَمَعِ، وَالْإِقْرَارِ بِوَلَايَتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ - وَوَلَايَةِ شَرْعِيَّةٍ - يُؤْمَرُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْإِعْتِرَافِ لَهُمْ بِحَقِّ التَّوَجُّهِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُؤَدِّي إِلَى فُرْقَةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَلَاكِهِمْ فِي طَاعَةِ هَؤُلَاءِ. وَلِلْأَسَفِ، فَهَذَا مَذْهَبُ الْبَعْضِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الصَّخْوَةِ، يَرُونَ هَؤُلَاءِ الدُّعَاةَ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ وَوَلَاةَ أَمْرِ شَرْعِيِّينَ.

وَأَنْظُرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ الْعِلَاجَ الَّذِي يُرَبِّي هَذَا أَتْبَاعَهُ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا سُمٌّ زُعَافٌ!!

قَالَ فِي كِتَابِهِ «السَّابِقِ ذِكْرُهُ»: خُلَاصَةُ الْعِلَاجِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ...، وَذَكَرَ عِدَّةَ أَسْبَابٍ لِلْعِلَاجِ:

أَوْلَاهَا: أَنْ يُتَّفَقَ عَلَى تَحْذِيرِ النَّاسِ مِنَ الدُّعَاةِ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، وَمَعْرِفَةِ ضَرَرِهِمْ، وَانْعِدَامِ وِلَايَتِهِمْ شَرْعًا، وَإِنْ اسْتَقَرَّتْ وَاقِعًا.

وَقَالَ فِي كِتَابِهِ «الْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ»: وَلَا يَقُولُ بِهِ فِي زَمَانِنَا إِلَّا مَنْ يُنْكِرُ شَرْعِيَّةَ قِيَامِ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَدَاءِ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ لَا تُقَامُ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ، وَلَا يَتِمُّ التَّعَاوُنُ وَالْإِجْتِمَاعُ إِلَّا بِقِيَادَةِ وَطَاعَةِ وَجُنْدِيَّةٍ. هَكَذَا يُرَبُّونَ الشَّبَابَ عَلَى الصَّدَامِ مَعَ الْحُكُومَاتِ، وَخَلَعَ يَدِ الطَّاعَةِ، وَالْإِعْتِقَادِ بَعْدَمِ شَرْعِيَّةِ مُبَايَعَةِ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ.